الالتزام بوصفه مبدأ من مبادئ نظرية الجمال الماركسية في النقد الأدبي الغربي الحديث

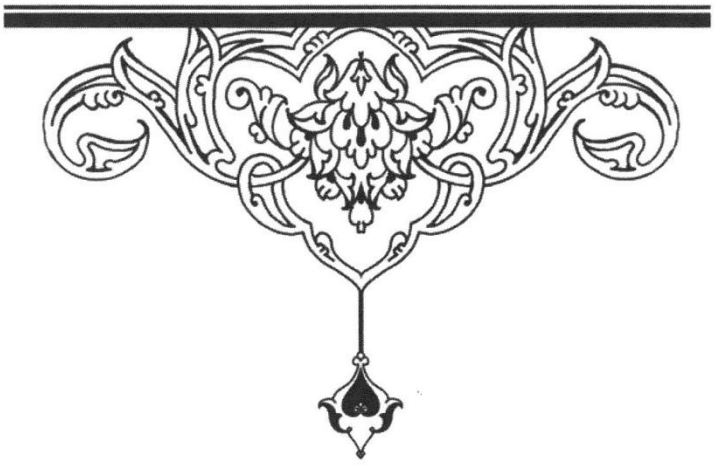

أ.د. أحمد عويز حسين الباحث: منتظر جواد كاظم سلطان
جامعة الكوفة- كلية الآداب- قسم اللغة العربية

الالتزام بوصفه مبدأ من مبادئ نظرية الجمال الماركسية في النقد الأدبي الغربي الحديث

أ.د. أحمد عويز حسين الباحث: منتظر جواد كاظم سلطان
جامعة الكوفة- كلية الآداب- قسم اللغة العربية

الخلاصة:

يسعى هذا البحث لتسليط الضوء على مبدأ من المبادئ الجمالية عند النقاد الماركسيين هو مبدأ (الالتزام)، إذ يمثل هذا المبدأ السمة الأبرز في الأدب الصادق، فضلا عن كونه نمطًا مثل ردة فعل على اتباع نظرية (الفن للفن)، ويتخذ هذا البحث من الرؤية الجمالية عند النقاد الماركسيين في النقد الأدبي الغربي الحديث نموذجا لتطبيقاته ، كون الرؤية الجمالية الماركسية انطلقت من أن الأدب الجميل هو الذي يمثل الواقع ويعكسه ويلتزم بالدفاع عن حقوقه، وهذا ما سيبينه البحث.

الكلمات المفتاحية:

فكرة الالتزام، نظرية الجمال الماركسية، الرؤية النقدية الماركسية، النقاد الماركسيين، الأدب الملتزم.

Conclusion:

ahmed.awayiz@uokufa.edu.iq mntzrjwadk@gmail.com

This research seeks to shed light on one of the aesthetic principles of Marxist critics, which is the principle of (commitment), as this principle represents the most prominent feature in honest literature, as well as being a pattern such as a reaction to following the theory of (art for art), and this research takes from the aesthetic vision For

Marxist critics in modern Western literary criticism as a model for its applications, since the Marxist aesthetic vision started from the fact that beautiful literature represents and reflects reality and is committed to defending its rights, and this is what the research will show in its folds.

Keywords: the idea of commitment, Marxist beauty theory, Marxist critical vision, Marxist critics, committed literature.

المدخل:

اهتمت الدراسات النقدية اهتمامًا بالغًا بمفهوم الالتزام، وقد تمكنت من أن تجسد ذلك الاهتمام في الفن والادب بصورة جلية، فقد جرى استعمال مفهوم الالتزام في ميادين النقد الأدبي الغربي الحديث بصورة كبيرة باختلاف المذاهب النقدية، ومبادئها التي تقوم عليها، إذ كان لكل مذهب أدبي موقفٌ خاصٌ مبني على فهمهم الخاص للالتزام، في ضوء مجموعة من المبادئ والمقاصد التي يسعى إليها أصحاب هذه المذاهب، فهو مفهوم قائم على فكر الفرد ووعيه تجاه مجتمعه، وهذا ما جعله مفهومًا مؤثرًا في النقد الأدبي. ويعد الالتزام حسب الرؤية الجمالية الماركسية نقطة ارتكاز مهمة في رؤيتهم الجمالية في النقد الأدبي، وما سأتناوله في هذا البحث هو بيان فكرة الالتزام بوصفه مبدأ من مبادئ النظرية الجمالية الماركسية في النقد الأدبي الغربي الحديث، وبيان أهم الآراء النقدية الجمالية في هذا المفهوم عند النقاد الماركسيين، ومن تأثر بالرؤية الجمالية الماركسية أيضًا وسأتناول الموضوع انطلاقًا من مدخلين مهمين هما:

مدخل: في حدود مفهوم الالتزام: Commitment

لعلّ فكرة الالتزام تعد أحدى الأفكار الرئيسة في سيرورة أي عمل، أو مذهب فكري، أو فلسفي أو عقائدي، كما كان يراه النقاد والفلاسفة السابقون، فالمفهوم يشير إلى التزام الأديب أو الفنان والناقد في أعماله الأدبية بعقيدة، أو فكرة، أو فلسفة ما،

فينادي بها، ويدافع عنها، ويحمل رؤيتها في وجه الأفكار والتيارات الأخرى، لذا نجده قد حُدِّدَ في كونه اتجاهًا((إيديولوجيًّا للفن والدفاع في الاعمال الفنية عن مصالح طبقة اجتماعية محددة))[١]، إذ إنّه يقوم على الموقف الذي يصدُر من المفكرِ أو الأديب، الذي يُشتَرطُ فيهِ الوضوح في تقديم الآراء، والإخلاص في الدفاع عنها، والاستعداد لكل من يحاول المساس بالفكرة التي يدافع عنها. فالفن الملتزم جاء حاملًا غايةً سامية، وهدفًا معينًا، ليُعالِج المشاكل التي يَمُرُّ بها المجتمع، ويحاول رسم مسار صحيح ، بعيد عن الانحراف الذي يذهبُ بالأمةِ إلى الهاويةِ، وكذلك الالتزام هو:((مصطلح أدبي وفني معاصر يدعو إلى وجوب أحساس الأدباء، والفنانين بالمسؤولية أمام مجتمعهم ووطنهم، وهم يرفضون جعل الأدب والفن تسلية يرسل بحرية، ويرون أن الأديب الملتزم هو: المقدر لمسؤوليته نحو وطنه، وأمته))[٢].

ويشير المعنى الأول الحرفي لكلمة الالتزام **Commitment** ((هو engager والذي يعني رَهَن ومن ثم دلت صيغة s'engager لتدل على جعل نفسه أو كلمته رهنًا وبمثابة ضمان وامتداد لهذا المعنى أو قيَّدَ نفسهُ بوعدٍ أو قسم مُرغِمين))[٣]، وبذلك تكون كلمة التزام قد دلت على التعاقد، والاتفاق على فكرة معينة، يلتزمُ بها كلا الطرفين، هذا من جانبٍ عام، أما من الجانب الأدبي والفني فجاء مفهوم الالتزام ليدل على ((علائق الأدبي بالاجتماعي، أي الوظيفة التي يوليها المجتمع للأدب ولدوره، وبالمعنى الدقيق فإن الكاتب الملتزم هو الذي اضطلعَ علانيةً بسلسلةٍ من الالتزامات تجاه الجماعة، وارتبط بها من خلال وعد، وغامر في هذه المباراة بمصداقيته وسمعته))[٤]، فهنا يدل مفهوم الالتزام على: اتخاذ فكرة، والتمسك بها، والدفاع عنها، وتحمل التبعات كافة من أجلها.

أما المعجم الأدبي فقد بين مفهوم الالتزام بأنه:((حزمُ الأمرِ على الوقوفِ بجانبِ قضيةٍ سياسيةٍ، أو اجتماعية، أو فنية، والانتقال من التأييد الداخلي إلى التعبير الخارجي عن هذا الموقف، بكل ما ينتجه الأديب، أو الفنان من آثار. وتكون هذه الآثار محصلًا لمعاناة صاحبها، ولإحساسه العميق بواجب الكفاح، ولمشاركته الفعلية في تحقيق الغاية من الالتزام))[٥].

واستنادًا لما سبق يتبين أن مفهوم الالتزام عادة ما يكون منبثقا من نفس الشاعر، ورغبته بالتعبير والالتزام بقضايا أبناء جلدته. ومتى ما أجبر الفنان على فعل عمل، أو الكتابة لجهة سياسية قسرا، تحول المفهوم من الالتزام إلى الإلزام، فالالتزام يعني أن يكون الأديب حرًا في اختيار موضوعه، أو الطبقة التي ينادي باسمها ومنهُ تتحدد درجة مقبولية الأدب الجمالية، أما الإلزام فهو على النقيض مما سبق ذكره، فمتى ما كان الأديب ملزمًا ومرغماً على فعل شيء ما، أو القيام بالعمل من دون رغبة، كأن يتعرض لقوة السلاح، أو ضغط من السلطة الحاكمة يصبح الفن والأدب مقيدًا ونتيجة هذا التقيد يفقد الأدب صفته الجمالية، وبالتالي يكون بلا قيمة جمالية أو أخلاقية ترتجى.

وما تبين للباحث عبر التعريفات التي ذُكرت، أن العامل المشترك بينها هو: إن الالتزام يعني أن يعيش الناقد، والأديب، والفنان بين الشعب، ليعبّرَ عن آمالهِ، وتطلعاتهِ، وطموحاتهِ، فيسخّر نتاجهُ الأدبي، في تحقيق ما يتطلع له المجتمع الذي يحيط به، وأن يوظف نتاجاته في الدفاع عن قضايا مجتمعه، إذ تربط هذه التعريفات التزام الفن بالمجتمع مؤسسة في ذلك علاقة تآصرية بين الأديب ومجتمعه، ليكون بذلك الالتزام مرتكزًا رئيسًا تقوم عليه المفاهيم والتقييمات النقدية الجمالية، فكلما كان الأديب ملتزمًا بالذود والدفاع عن مجتمع، أكتسبَ فنهُ سمة الجمالِ، وبذلك يكون الالتزام الأدبي هو أحد المقاييس، والمبادئ النقدية الجمالية التي تقيّم الأديب بحسبِ مقدار تعلقه بالمجتمع، ومدى تفاعله مع قضيا المجتمع.

المبحث الأول

علاقة فكرة الالتزام بالأدب الجميل في النقد الادبي الغربي الحديث

للفنان الملتزم ، أثر بارز في التأثير والتأثر في المجتمع، وبمدى الالتزام تتحدد درجة تقبل الأدب جماليًا، والمجتمع لا يتأثر من دون أن تصبح لديه معرفة جمالية بتجربة جديدة أو أكثر حيوية، فعمل الفنان لا يقتصر على إقناع المتلقي فقط ،إنما يكمن تأثيره بكل ما هو حي في الإنسان، وجمالية الفن تغدو في نجاح نقلهِ للمجتمع والتأثير فيه جماليا[٦]، وحريٌّ بنا أن نتطرق إلى وقت ظهور المصطلح للساحة الأدبية والنقدية، وتطوره ليغدوا فكرة جمالية محضة، يعتمد عليه النقاد في إصدار أحكامهم

وآرائهم النقدية الجمالية، فقد ظهر مصطلح الالتزام تاريخيًا في الفترة المحصورة بين الحرب العالمية الأولى والثانية في خطابات النقاد والأدباء والمثقفين[٧]؛ والسبب في ظهوره في هذا المدة – حسب رؤية الباحث– يعود إلى الحالة الاجتماعية المتردية التي مرّت بها البلدان والشعوب، نتيجة هذه الحروب الدامية، والتي دفعت بدورها الفنانين، والأدباء بالتوجهِ للمطالبة بحقوق الشعب، والتصدي لمطالبهم فالتزموا النداء بحقوق الشعوب والمجتمعات المضطهدة.

ولعل أبرز النقاد والفلاسفة الغربيين الذين أولو فكرة الالتزام اهتمامًا هو الناقد ماكس أديريث:Max Aderith و جان بول سارتر[*]Jean Paul Sartre، وغيرهم من النُقّاد الذين تناولوا هذه الفكرة بالدرس والبحث والتمحيص، وقد رأى أدريث إن فكرة الالتزام بوصفها أحد المبادئ الجمالية، تكمن في أن للأدب أثرا بارزا في تطور المجتمع؛ كون الأديب هو ابن البيئة التي نشأ فيها، وإذما أراد لأدبهِ أن يكون جميلا، يجب عليه أن يكونَ نابعاً من قضايا المجتمع ، فإن للفن وظيفة توجده، وأياً كانت أهمية هذه الوظيفة فيلزم أن تكون استجابة لحاجة جمالية معينة، ففكرة الالتزام بوصفه أحد المبادئ الجمالية يعطينا إحساسًا بأننا جزء من هذا الواقع، نُسهِمُ في صنعه وتطويره، وفي تحمل المسؤوليات التي تجري على أرضه كافة، وهذا ما يجعل النص الأدبي مقبولا جماليًا بوصف الأدب فناً من الفنون الأدبية الجمالية التي تنعكس عن المجتمع، فهو يجعل من الأدب نشاطاً فكرياً جاداً، ذا تأثير في الواقع المجتمعي، وهذا ما يظفي عليه القيمة الجمالية، والأخلاقية معاً، فهو يربط الأديب والفنان بواقعهم، فالتزام الأديب بقيم المجتمع ومبادئه الأخلاقية لا يعني تجريده من ميوله وافكاره، فلا يمكننا الفصل بين الفكر والفن قطعاً، فالالتزام قائم بينهما بشكل ضروري وطبيعي أيضًا، فالشاعر أو الفنان يفكر لكنه تفكير أدبي فني يحيل هذه الأفكار إلى فن أو شعر عبر خبرته، وتجربته، فالشاعر وفكره ما هو إلا من لون العصر والبيئة التي يعيشها الشاعر[٨].

وهذا ما لمسه الباحث في احكام أديريث النقدية عندما أبدى أعجابه بديوان (لويس أرجوان louis Araon ١٨٩٧–١٩٨١م)[*] الموسوم (عيون وذكرى ١٩٥٤م)، وكذلك برواية (الحصان الأحمر) التي تدور أحداثها عن القنبلة الذرية، وما خلفته من

حطام، وإبادة جماعية، فالسبب الذي قاد أديريث للإعجاب بهذه الرواية هو التزامها بتوعية المجتمعات ودعوتها إلى نبذ التهديد النووي كي توقفه، فهذه الرواية سلطت الضوء على أحدى المشاكل الاجتماعية والتزمت بالنداء من أجل إيقافها، لتخليص المجتمعات من ويلات الحروب. أما سبب تفضيله لديوان (أرجوان) جمالياً فالسبب يعود لالتزامه على حث المجتمع للحفاظ على القيم النبيلة، والدفاع عنها، والقتال من أجلها، فمعيار الجمال في هذه النصوص حسب رؤية أديريث، تبدت في مدى التزام الكُتّاب والأدباء في آدابهم، الدفاع عن قضايا المجتمع، كالظلم، والجور، والاضطهاد، الذي يصاحب الحروب، وبالنداء أيضًا للالتزام بالقيم النبيلة، التي ترفع المجتمع وتدفع عجلة التطور إلى الأمام، ولذلك نجده يورد بعض الأبيات الجميلة من ديوان أرجوان من قصيدة بعنوان (عن السلام) كانت تحمل مضامين الالتزام الأدبي أُعجِبَ بها و بقيمتها الجمالية، إذ قال فيها:

فلتصمتي أيها الذِرة ولتكفي أيتها البنادق عن الدمدمة

أوقفوا النار على كل الجهات على كل الجهات أوقفوا النار.

فإيراد ماكس أديريث هذه الأبيات ليبين مدى التزام الشاعر بالدفاع عن المجتمعات الواقعة تحت نيران الحروب، لاسيما إن هذه القصيدة كانت أحداثها تدور حول الصراع بين الفيتناميين والفرنسيين، لذا نجد الشاعر قد حمل هموم هذه المجتمعات، وسلط الضوء على ويلات الحروب، وهذا ما دفع أديريث إلى تفضيلها جمالياً، كونها دعت إلى مبادئ أخلاقية واجتماعية وبينت مدى التزام الشاعر بفكرة معينة هي الدفاع عن المجتمع، ونبذ العنف[٩] .

وبذلك يقوم الالتزام بوصفه أحد المبادئ الجمالية في النقد الأدبي الغربي الحديث بربط المبدع بالواقع الذي يعيش فيه ، من خلال التزامه بالقيم والمبادئ الحضارية الخاصة بالمجتمع الذي نشأ في كنفه ، وهذ لا يعني تجريد الفنان أو الأديب من أفكاره، ورؤاه، وميوله الطبيعية، إذ لا يمكن فصل الشعر عن الفكر إطلاقًا، فالالتزام قائم بين هذين الأمرين على نحو طبيعي وضروري معًا، و ذلك لأن الشاعر يفكّرُ تفكيرًا شعريًا، و يحيل الأفكار برؤية وأسلوب خاص إلى شعر، لاسيما أن فكر الشاعر يمثل نتاج بيئته وعصره الذي يعيش فيه [١٠] .

ويرجع ماكس أديرث أسباب الدفاع عن الالتزام في الأدب والفن إلى افتراضين هما:

أولًا: أن اهتمام المرء بعصره هو مصدر كبير لإلهام الفن.

ثانيًا: أن حرية الكاتب الخلاقة لا تنفصل عن احساسه بالمسؤولية الاجتماعية[١١].

فكلما كان الأديب ملتزما بالدفاع عن أحداث عصره، كُتب لأدبه الخلود، فالأدب الخالد حسب هذه الرؤية هو الأدب الملتزم بالدفاع عن المجتمع الذي نشأ فيه، فالالتزام بوصفه فكرة جمالية يكمن في مدى تعلق الأديب بعكس متطلبات مجتمعه، فالموضوعات الجميلة هي ما كانت قريبة من واقع المجتمع وبذلك يكتب لها الخلود والجمال أيضًا.

ويأتي الناقد الأبرز الآخر الفرنسي **جان بول سارتر:Jean Paul Sartre**: إذ يبدوا أن مفهوم الالتزام عنده قد ارتبط ارتباطًا وثيقًا بالنقاد، والفلاسفة الوجوديين، وكان من أبرزهم جان بول سارتر، الذي يعد أبرز من اعتمد هذا المصطلح، وبلوره ليدُلَ على مسؤولية الفنان، أو الأديب الجمالية تجاه مجتمعه، ليؤكد أن موقف الأدب الملتزم جمالياً يكمن في تغيير الواقع، والنهوض بالأمة، من دون التأثير على حرية الأديب والمساس بها، فالمقصود بالالتزام عند سارتر هو:((اتخاذ رأي الأحداث التي يعيشها الكاتب على شريطة احتفاظه بحريته الفردية في الوقت نفسه، أي ان التزامه تحيطه أخلاقية تمتد حتى تصل الى جميع المسؤوليات البشرية عموماً. فالالتزام قائم على فكر واعٍ غائص داخل أوضاع الفرد أو أوضاع المجتمع مع اختلاف نوعية الالتزام ومساره لدى كل فنان))[١٢].

فسارتر يرى أن الإنسان هو الركيزة الأساس التي تغير المجتمع نحو الأفضل، فهو بذلك يرفض فكرة وجود آلة، وهذا الرفض جاء نتيجة لفكرته في التحرير، فقد أصرّ على أن الماهية تأتي بعد الوجود والوجود لهُ الأسبقية؛ والسبب في ذلك يعود إلى رغبة سارتر في تحرير الذات الإنسانية من قيود المجتمع والعادات والتقاليد التي تستبد بها[١٣]، فمعيار الفن الجميل في النقد السارتري هو مدى التزامه بموقف معين، من أجل وضع الأساسات التي سيسير عليها المجتمع في المستقبل. وهذا ما ذهب إليه سارتر، ومن تبعه في أن القيمة الجمالية الالتزام تكمن في أن الالتزام هو وسيلة من وسائل حماية قيمة الحرية، بوصف الحرية ذات دور فاعل في تغيير كل

ما يشوه حياة المجتمع فإننا((نكتب دفاعاً عن قيم نؤمن بها، وإنما يسمى الكاتب ملتزماً حينما يجتهد في أن يتحقق لديه وعي أكثر ما يكون جلاء وأبلغ كمالاً بأنه مبحر، أي عندما ينقل لنفسه ولغيره ذلك الالتزام من حيز الشعور الغريزي الفطري إلى حيز التفكير. والكاتب هو الوسيط الأعظم، وإنما التزامه في وساطته، غير أن من الحق أن نحاسبه في إنتاجه على أساس حالته في المجتمع))[١٤]. فمتى ما كان الأديب مدافعاً في أدبه عن مجتمعه، ويعالج ما يستطيع علاجهُ بفنهِ أصبح فنهُ فنًا جميلًا. فلو أخذنا مثلا ((الكاتب الأسود الكبير(ريتشارد رايت)[*] فإذا نحن أخذنا بعين الاعتبار شرطه(كإنسان) فقط، أي شرطه (كزنجي) من جنوب الولايات المتحدة منقول إلى الشمال، ادركنا فورا إنه لا يستطيع أن يكتب إلا عن السود والبيض، (منظور إليهم بأعين السود). هل نستطيع أن نفترض ولو للحظة، أنه يقبل أن يقضي حياته في تأمل الحق والجمال والخير الأبدي، بينما ٩٠ بالمائة من زنوج الجنوب محرومون من حق الانتاخاب؟))[١٥]. فسارتر هنا يثني على رايت على كونه والتزم بالدفاع عن طبقة الزنوج المضطهدين في المجتمع في أدبه، فمضامين الجمال تكمن في التزامه بالدفاع عن هذه الطبقة، ولو أنه تكلم عن مضامين أخرى كالحق والخير وغيرها، لما كان أدبه بمستوى عال من الجمال، كون الجمال الأدبي يتجلى بالتزام الكاتب بالذود عن مجتمعه وأبناء جلدته.

وقد تجلى موقف سارتر من الالتزام في مسرحيته (الذبابthe Flies) التي كتبها في عام ١٩٤٣م، وفيها وظف سارتر بطريقة رائعة اسطورة أوريستيس الذي تتحدث عنه الأسطورة بأنه قتل أمه وعشيقها ليأخذ بثأر أبيه الذي قتلاه، ففي هذه المسرحية أرتدى سارتر ثوب الأسطورة ليصل بها من دون ملاحظة النازيين إلى الجمهور ليوصل من خلالها فلسفته الثورية التي تحثهم على الصمود والدفاع عن فرنسا ضد الاحتلال النازي[١٦] ففي هذه المسرحية نجد أن سارتر قد ألتزم فكرة الدفاع عن المجتمع وحثه نحو التقدم والثورة وعدم السكوت على الظلم والعدوان.

وتماشيًا مع ما تم ذكره فإن الأدب الجميل بناءً رؤية سارتر يجب أن يحمل مهمة سامية، ويلعب دورًا فاعلًا في المجتمع، حتى يتسنى لنا أطلاق حكم جمالي عليه، فكل أديب أو فنان أراد لأدبه وفنه أن يدخل في بوتقة الجمال والاحكام الجمالية، لابد

له من أن يدافع عن حاجات المجتمع، وأن يكون مسؤولًا عما يكتبه كله، ويتحمل التبعات كافة حتى النهاية[١٧].

وقد صبَّ سارتر تركيزه على الكاتب أكثر من أي شيء آخر في تقييمه الجمالي لمفهوم الالتزام، إذ يرى أن الكاتب إذا ما أراد أن يكون فنه جميلا يجب عليه، أن يجعل غاية كتاباته هي كشف المواقف السلبية في المجتمع قاصدا تغييرها، فالفن الجميل هو الفن الموجود والوجود هذا يتجلى في أن يكون الكاتب عنصرا فاعلا في المجتمع وأن يكون كالأبطال الدعاة للإصلاح[١٨] فالجمال الذي يصبو إليه سارتر هو بالتزام الكاتب والمؤلف بإضاءة الطريق للمجتمع من خلال أفكاره ورؤاه التي تصب في خدمة المجتمع والذود عن حقوقه ومطالبه. فالأدب الجميل عند سارتر قائم على فكرة الالتزام بوصفها فكرة جمالية، فهو بذلك يثور على نظرية (الفن للفن) وانتقص من كل كاتب يكتب لنفسه، فهو بذلك يقر بأنه لا يوجد أدب إلا للآخرين وهذا ما نجده جليا في أرائه في كتابه الموسوم ما الأدب فهو قام بتصنيف الفنون على قسمين ملتزم وغير ملتزم، والأدب الجميل و الملتزم عنده هو ما لعب فيه الأديب دورا إصلاحيًا يصلح فيه المجتمع ويقف فيه على حاجات المجتمع وينادي بها ويدافع عنها.

وتأسيسًا على ما سبق يكون الالتزام من وجهة نظر جمالية عند سارتر قائمًا على اساس القيمة الفردية لحرية الأديب، وهذه القيمة هي التي تجعل من النص الأدبي نصاً جميلًا عبر ربطه بالمجتمع المحيط به، وحمل همومه والوقوف على احتياجاته، فالكاتب يهدف من خلال الالتزام بأعماله إلى إعطاء القارئ انفعالا معينًا جرت العادة على تسميته باللذة الجمالية، أو كما يحب أن يسميه سارتر الفرح الجمالي، فالالتزام بوصفه فكرة جمالية يعطي هذه اللذة الجمالية للأدب، وبذلك يكون العمل الفني قد اكتمل وتم[١٩]، فهذه اللذة هي التي تعطي قيمة جمالية للفن وهذه القيمة هي المسؤولة مسؤولية ذاتية تجاه المجتمع ؛ لأنها تمثل أعلى صورة للإنسان المثالي ، الذي يبدو مثالاً في سلوكه في عين المجتمع. فجمالية الالتزام تكمن أيضًا عند سارتر في الاديب الناثر الذي يكون ملتزماً جماليًا عندما يحقق الوعي الأكبر بما يشتغل به، وبمعنى آخر عندما يجعل التزاماته التلقائية المباشرة تتقدم لما هو متأمل

بالنسبة له وللآخرين، ويلاحظ أن النظرية الجمالية في الالتزام عند سارتر ارتبطت ارتباطا مباشرا بالحرية.

المبحث الثاني

مفهوم الالتزام بوصفه فكرة جمالية في الأدب عند النقاد الماركسيين.

رأينا كيف أن الالتزام كان أحد الأفكار المهمة التي دخلت حقل النقد، وصارت تتحكم في جمالياته عند النقاد غير الماركسيين، وأما في هذا الجانب من البحث فسنتناول هذه الفكرة عند النقاد الماركسيين نبين في التفصيل بوصفها فكرة جماليًة في النقد الأدبي الغربي الحديث ولاسيما في تقييمهم الجمالي للأدب والفن، إذ يتخذ الماركسيون المجتمع اساسًا ينطلقون منه، فيدرسونه دراسة على ضوء الحتمية التاريخية، متخذة نهجا ماديا في ذلك إذ يربط الماركسيون بين الأدب بوصفه فناً من الفنون الجميلة وبين المجتمع وهي النظرية الثانية التي تقف بالضدِّ من نظرية (الفن للفن) إذ آمنوا بأن الأدب وجِدَ من أجلِ المجتمع، وبما أنه من الفنون الجميلة إذن تغدو وظيفة الأدب الجمالية وسيلة مهمة من الوسائل التي أهتموا بها فجعلوا من الالتزام فكرة في تحقيق هذه الوظيفة فربطوا بين الاثنين لتحقيق غايتهم المنشودة.

ومن زاوية أخرى، فقد وضع المفكرون والنقاد الماركسيون شرطاً رئيسا لتحديد مدى جمالية العمل الأدبي، هو مدى تفاني الأديب و إخلاصه في رسم الواقع الاجتماعي من خلال أدبه، وقد صبّوا جل اهتمامهم بالتوفيق بين الاهتمام، والتركيز على القضايا السياسية و الاجتماعية والالتزام بها، وبين الاهتمام بمقتضيات العمل،((فالكتابة كغيرها من الممارسات منحازة دوما بشكل مهم؛ وهذا يعني أنها تعبر بشكل متعدد ضمني وظاهري ومعين عن تجربة منتقاة من وجهة نظر معينة))[٢٠]، فالانحياز هنا يعني التزام الكاتب بالدفاع والذود عن طبقة اجتماعية معينة، أو فئة من المجتمع يطالب بحقوقهم، ويدافع عنهم من خلال كتاباته الأدبية. لذلك نجد أن الماركسيين أمنوا بفكرة أن الأدب الجميل يعبر عن مجموعة من المبادئ ، والمعتقدات الخاصة بطبقة من الطبقات، وانطلاقًا من هذه الفكرة يمكن ان نقسم النقاد الماركسيين على قسمين كلٍ حسب رؤيته لمفهوم الالتزام:

أولًا: الالتزام بوصفه رؤية جمالية اجتماعية:

تعد فكرة الالتزام أحدى الأفكار الجمالية التي اعتمدها النقاد الماركسيون في تقييماتهم النقدية، إذ تربط بين الفن والمجتمع، ولا تفرق بين نوع أدبي وآخر فالغاية الأولى عندهم هي المجتمع وحده، فالفن ليس ايديولوجيا معينة، إنما((له علاقات مع الأيديولوجية ، إن له محتوى أيديولوجي (يتراوح في حظّه من الوضوح وفى كونه سياسياً عن وعى))[٢١] فالأديب يعبر بأدبه عن الأوضاع الاجتماعية والأحداث التي تؤثر في المجتمع، فيلتزم بتصويرها الدعوة لمعالجتها، وذلك ما دفع بعض النقاد الماركسيين يفضل جماليًا مكسيم غوركي على من سواه من الأدباء كونه ((خرج من الشعب وتعاطف مع الحركة العمالية. غوركي هو الشعب نفسه. غوركي والثورة الاشتراكية يشكلان وحدة عضوية. ولهذا صار معبرا عن الطموحات الفنية عند جماهير الشغيلة))[٢٢]، فتفضيلهم لغوركي جماليا كان بسبب التزام الاخير بأعباء الدفاع عن الشعب والتصدي لكل من يريد استغلال الشعب وتجويعه، فالغاية من هذا كله هو إعادة تقسيم المجتمع على وفق فكرة المساواة والعدل، فهي تتبنى طبقة العمال وتدافع عنهم وترعى مصالحهم، فقد آمن الماركسيون بفكرة مفادها ان الفن هو تعبير عن الواقع وعن المبادئ والمعتقدات التي تخص طبقة معينة من الطبقات، فالفن الجميل عندهم هو الذي يخدم مصالح المجتمع ويلتزم بالدفاع عنها، فهو ليس أمرا خاصا بالفرد وحده، إنما له دور مؤثر، وفاعل في المجتمع وصراعاته الطبقية ، فالنقاد الماركسيون وضعوا، معيارا رئيسا لأي عمل أدبي يستحق صفة الجمال هي مدى إخلاصه في نقل الواقع وتصويره ، ومن هنا نشأت النظرية الواقعية الاشتراكية بمضمونها الذي نعرفه الآن[٢٣]. أمّا أبرز من مثل هذا الاتجاه في النقاد والفلاسفة الماركسيين فهم كالآتي:

أ: فلاديمير لينين: Vladimir Lenin (١٨٧٠-١٩٢٤م)

لا يخفى على أي باحث أن كل أدب و فن كأن يكون موسيقى أورسمًا أونحتًا، يحتوي على مضمون خاص به يحدد له دلالته الاجتماعية والفكرية، إذ كان على الأدب حسب الرؤية الماركسية، أن يلتزم بمبدأ الدفاع عن مصالح المجتمع وهذا ما دفع لينين لرفضه((في مقاله (تنظيم الحزب وأدب الحزب)١٩٠٥م، ومؤلفاته الأخرى

نظريات الفن الخالص وقدم ودعم فكرة الالتزام في الفن القائل بأن الفن في الظروف المعاصرة لا يمكن ان يتطور إلا بأن يربط نفسه بأكثر الحركات تقدمية، وأن يربط نفسه بنضال الطبقة العاملة(البروليتاريا)))[٢٤]. ومعنى كونه فنًا خالصًا يعني أن تكون له وظيفة المتعة الجمالية المحضة فقط، من دون أي شيء آخر، وهذا ما يرفضه لينين، فيقلب الفكرة ليجعل من المتعة الجمالية في الأدب، وظيفة اجتماعية، وغاية ثورية فيحول الأدب الى خادم يرتبط بمصالح الطبقة العاملة .

فلينين يرى أن الأدب الجميل هو الذي يكون((ترسًا ولولبًا في آلة اشتراكية ديمقراطية واحدة عظيمة))[٢٥]، فهو يريد من الأديب الملتزم أن يكونَ مدافعًا عن مبادئ الحزب الاشتراكي، مشتركًا في نضاله مع ضد الأفكار المناوئة للبروليتاريا، لا سيما أن فكرة الالتزام نابعة أولًا من فكرة الولاء للحزب(الالتزام بقضية حزب الطبقة العاملة) على يد لينين في مقالته (تنظيم الحزب وأدب الحزب) ١٩٠٥م))[٢٦]، فمن دون ذلك لا يكون الأدب جميلا، فمعيار جمال الأدب من عدمه هو في مدى التزامه بمتطلبات الحزب، وطبقة البروليتاريا، وهذا ما حصل عندما فاضل بين (شالابين) و(مكسيم غوركي) بقوله: ((لا يجب أن نقسو في الحكم على شلابين، فهو فنان وحسب. إنه بعيد عن قضية البروليتاريا، فقد يكون صديق العمال اليوم ومن جماعة المائة السود في الغد... وفقا لمزاجه. أما غوركي فقد اعتاد العمال على عده واحد منهم. وكانوا يعتقدون دوما أنه يهتم بقضية البروليتاريا نفس اهتمامهم الحار بها، وأنه كرس موهبته لخدمة هذه القضية. ولهذا نراهم يكتبون الى غوركي رسائل التحية، ولهذا نرى أسم غوركي عزيزا عليهم))[٢٧]، فالالتزام بالدفاع عن مصالح الطبقة العاملة هي الفكرة والغاية الجمالية التي دفعت لينين لتفضيل غوركي على شالابين ، فالأدب الجميل لا يمكنه أ ن يكون ((قضية فردية مستقلة عن القضية البروليتارية العامة. فليسقط الأدباء اللا حزبيون، فليسقط الأدباء الفوق الناس، إن على الأدب أن يصبح جزءا من القضية البروليتارية العامة، عجلة صغيرة وبزلا في آلة اشتراكية ديمقراطية واحدة وحيدة وعظيمة، تحركها الطليعة الواعية للطبقة العاملة كلها. على الأدب أن يصبح جزءا لا يتجزأ من العلم الحزبي الاشتراكي الديمقراطي الموحد والمنظم والمخطط))[٢٨] فالواقعية الاشتراكية بصورة عامة ورؤية لينين بصورة خاصة تحيل مفهوم الالتزام

بوصفه فكرة من المبادئ الجمالية الماركسية ليكون تعبيرا عن هموم الطبقة العاملة (البروليتاريا) ففكرة الالتزام عندهم لا تقتصر على حرية الفرد في البوح و التعبير عما يختلج في كينونته، إنما الالتزام بما ينفع ويصب بمصلحة الطبقة العاملة من المجتمع ولذلك نجدهم يؤكدون على ضرورة التشدد ونبذ الذين لم يلتزموا بمبادئ الواقعية الاشتراكية. وهذا ما أكده لينين في خطاباته حول التحزب الأدبي، التي أثار فيها قضية الالتزام الادبي، فالثورة حسب رؤيته لن تتمكن من النجاح مالم تنضوي التيارات الفكرية والاجتماعية كلها تحتها، فـ((أيا كان الأمر فإن الثورة التي قطعت نصف الطريق تجبرنا جميعا على أن نعمل على الفور على تنظيم المسألة كلها وفق خطوط جديدة. فاليوم يمكن أن يكون الأدب – حتى ذلك الذي ينشر قانونا– حزبيا في تسعة اعشاره ويجب أن يصبح أدبا حزبيا))[٢٩].

فهو بذلك يقدم مفهوما جديدًا يعرف بـ (حزبية الأدب) الذي يجعل الأدب ادبا حزبيا ملتزما بتعليمات الحزب وتقاليده، فهو يرى أن المجتمع الاشتراكي يجب أن يتضمن القطاعات جميعها ولا يترك أي فئة خلفه، والأدب والفن هما من اهم القطاعات التي تسهم في بناء المجتمع الاشتراكي، إذ ((إننا نواجه مهمة جديدة وشاقة لكنها مهمة نبيلة ومثمرة هي: أن ننظم أدبا واسعا متنوعا متعدد الاشكال، يرتبط ارتباطا لا ينفصم بحركة الطبقة العاملة الاشتراكية الديمقراطية، فكل أدب اشتراكي ديمقراطي يجب أن يصبح أدبا حزبيا))[٣٠] .

فرؤية لينين الجمالية بوصفها إحدى الرؤى الجمالية الماركسية ترى أن معيار الفن الجميل عنده هو أن يلتزم فكرة ويدافع عنها، فمهما كان دور الأدب ووظيفته لابد له أن يوظف في خدمة الشعب وهو في الحساب الأخير مسؤول أمام الشعب ويجب عليه الاهتداء بأسلوب الواقعية الاشتراكية من أجل اتمام هذه الواجبات المناطة إليه[٣١]، فإن لم يكن ((الأدب كل شيء، فهو لا يساوي شيئًا، وهذا ما أعنيه بالالتزام. يذبل إن اختُزِلَ إلى البراءة أو الأغاني. وإن لم يسمع للجملة المكتوبة دوي في كل مرحلة من مراحل الإنسان والمجتمع، إذن لا معنى لها، ما هو أدب الحقبة التي ترصد بها؟))[٣٢].

فالأديب هو لسان المجتمع ويجب أن يعلو صوته من اجل المجتمع، وأن يكون له تأثيرٌ في الساحة الاجتماعية، فمن صفات الفنان الملتزم هي ((أن يعكس بوعيه مشاعرهم وإرادتهم ويتعاطف مع الناس ويشاركهم المعاناة مشاركة وجدانية عميقة، فليس عبثا أن يصف غوركي الفنان بأنه حاسة بلاده وطبقته وأذنها وعينها وفؤادها))[٣٣]. وهذا ما أكده بعض النقاد كذلك فالأدب الجميل هو ما يعكس متطلبات الشعب ويصورها من خلال نصوصه الأدبية ولا يمكن أن ينجح من دون معرفة تاريخ الشعوب، وأفكارها ، ورؤاها ، وتطلعاتها، الاجتماعية، والسياسية، فهذه الأمور وغيرها تعد أبرز ما يجب على الأديب الالتزام بها، حتى يضمن لأدبه أن يكون أدبا جميلا نافعا[٣٤] فمعيار جمال الأدب عند لينين هو مدى التزام الأديب بالكفاح والدفاع عن الشعب وعن مبادئ الفكر الماركسي، وهذا الواجب هو واجب أخلاقي بالدرجة الأولى إذا كانت الغاية منه الدفاع والمطالبة عن مصالح الشعب، وكذلك واجب على الأديب أن يتحلى بهذه الشروط والمبادئ حتى يضمن لأدبه الشيوع والانتشار بين الأوساط الثقافية.

ب: جورج لوكاتش: George Lukac (١٨٨٥-١٩٧١م)[*]

بدت معالم الالتزام عند جورج لوكاتش جلية في أرائه النقدية الجمالية، إذ قام بالتوفيق، والجمع بين الأديب ومهامه تجاه المجتمع حتى يتسنى له إطلاق أحكامه الجمالية عليه، فالأدب الجميل حسب رأي لوكاتش، هو الذي يغيِّرُ المجتمع ويطوره، وكذلك يشير إلى أهمية احتفاظ الأدب بصفته الجمالية وأن لا يخرج عن هذه الصفة مطلقا[٣٥]، فليس((من المهم أن يكون(سكوت)أو(مانزوني) أرقى جماليًا من (هينرخ مان) مثلا، فليست هذه النقطة الأساسية، بل المهم أن سكوت ومانزوني وبوشكين وتولستوي كانوا قادرين على الإدراك العميق للحياة الشعبية وتصويرها في أسلوب أصيل إنساني وتاريخي بصورة ملموسة، أكثر من الكتاب البارزين في عصرنا))[٣٦]، فمعيار الجمال حسب لوكاتش يكمن في مدى التزام الأدباء بالنداء بحاجات الشعب والدفاع عن طبقات المجتمع التي ترعرعوا فيها، فالالتزام بوصفه فكرة من المبادئ الجمالية الماركسية يكمن في، أن أدب الأديب يجب أن ينصب للمناداة بحاجات الشعوب والمطالبة بحقوقهم.

ويعزز لوكاتش ما ذهب إليه في كتابه (نظرية الرواية) عندما ذكر رأي (ولتر سكوت) عندما أبدى رأيه في رواية(جيل بلاس) بقوله :((إن هذا الكتاب يترك القارئ راضيا عن نفسه وعن العالم. فيما كانت رواية (مول فلاندرز) لـ(رابسيك ريفو) ومعظم الروايات الشهيرة الأخرى، خلال هذه المدة كانت تنتهي بنهايات سعيدة.. ويستنتج من ذلك أن الكتاب كانوا يقيمون علاقة إيجابية مع عصورهم وطبقاتهم))[٣٧]، فالسبب الذي دفع لوكاتش لإيراد هذا الرأي هو أن هؤلاء الكتاب التزموا بالحفاظ على العلاقة الإيجابية بينهم وبين مجتمعاتهم وهذا لا يحصل إلا من خلال تناولهم لموضوعات العصر ومعالجتهم إياها من خلال كتاباتهم ففكرة الالتزام بوصفه أحد المبادئ الجمالية عند النقاد الماركسيين يكمن حسب رؤية لوكاتش بالتركيز والالتزام بالدفاع عن مصالح المجتمع، فهي غاية أخلاقية في المرتبة الأولى وكذلك نفعية تتبدى من خلال استمرار قراءة ومداولة هكذا روايات تكتب لصاحبها الخلود تاريخيا وأدبيا.

وهناك بعض النقاد من أيد فكرة لوكاتش، أمثال الناقد الماركسي روجيه غارودي مثلا، إذ كان يرى أن (كافكا) يعد من بين أعظم كتاب الواقعية، والسبب يعود إلى أنه قام بربط الأدب والأبداع الشعري بالحياة الاجتماعية، فكان مقياس الجمال هو مدى التزام الشاعر أو الأديب بما يحتاجه المجتمع. ومما يعزز هذا الرأي هو تعليق لوكاتش على محاورة أفلاطون (محاورة المأدبة)، فهو يرى بأن القيمة الجمالية لهذه المحاورة لا تكمن في الأفكار التي تقدمها هذه المحاورة، إنما في شخصياتها التي تعيش في الواقع، وتحس بما يدور حولهم، فأفلاطون استطاع أن يعرض ما يدور من أحداث في المجتمع بطريقة رائعة أو كما وصفها لوكاتش بالبارعة[٣٨]. وبذلك يكون لوكاتش قد رفض فكرة الكاتب أو الأديب غير الملتزم الذي لا يغلّب الواقع على ما سواه، فلوكاتش يعتقد بأن رؤية العالم تتحدد برؤية الأديب واختياراته ومن ثم التزامه بفكرة الدفاع عن مصالح المجتمع .

ثانيًا: الالتزام بوصفه رؤية جمالية تغييرية:

كانت الرؤية الجمالية عند القسم الآخر من النقاد الماركسيين ترى بأن الأديب مطالب بالوقوف مع صف التقدم، أو كما يحلو للماركسيين تسميته بالطبقة الصاعدة، فالأديب الحقيقي هو الذي يدفع عجلة المجتمع للتقدم وتغيير واقعهم وحياتهم

الاجتماعية، وهذا ما وجده الباحث على القسم الآخر من النقاد الماركسيين فهم يدعون إلى((السعي الدائب للعثور على وسائل جديدة للتعبير عن الواقع الجديد))[٣٩]، فالأديب الجيد عندهم هو الذي يحث المجتمع للتقدم وتغيير الواقع، أما ابرز النقاد الماركسيين الذين حملوا هذه الرؤية ونادوا به فهم كالآتي:

ب: بيرتولد بريخت: Bertolt Brecht (١٨٩٨-١٩٥٦م):

لقد ارتبط مفهوم الالتزام بوصفه مبدأ من المبادئ الجمالية الماركسية عند بعض النقاد، ممن تأثروا بالرؤية الواقعية الاشتراكية الغربية، ونقطة الفرق بين الواقعيتين يكمن في الموقف لا في الأسلوب[٤٠] ، وبسبب هذا الاختلاف اختلفت مهمة الفن والأدب أيضًا، فمهمة الفن الجميل من وجهة نظر الواقعية الغربية هو الفن الذي يقدم صورة نقدية لواقع المجتمع يوضح فيها عوامل الانحطاط، والسقوط ،وهذا ما نجده عند نقادهم عندما قاموا برفض ونقد وإدانة العلاقات البرجوازية على الصعد الاجتماعية والحقوقية والأخلاقية ورفض كل ما هولا أنساني مظلم وضيع، ولا أخلاقي نجم عن الواقع العملي لمجتمع الملكية الخاصة بشكل عام[٤١]،

في كتابه (الادب والثورة) فقد أشكل على بعض الشعراء أنهم ينزعون من أشعارهم بعض الموضوعات التي تمثل في مضامينها ديالكتيك العصر، ويعد هذا الشيء لا ينضوي تحت مضامين الالتزام الأدبي إنما ينحدر إلى الإلزام، أو ما أطلق عليه الالتزام السيء حسب وصفه، وهذا التغيير يؤدي إلى سوء تفسير النصوص الأدبية، فيدع جانبا كل الحقائق، وأن يخرق الواقع الذي يعيشه الشعب، فنحصل بذلك على جمل طويلة خالية من مضامين الجمال الأدبي، ويضرب لنا مثلا بنشيد الأممية بقوله:

انه النضـــال الأخير
فلتجمع أنفسنا، وغدا
ستضحي الأمـميـة
هي النـوع الإنسـاني[٤٢].

فيعلق بريخت على هذا المقطع فيصفه بأنه أصبح أكثر حيوية مما كان عليه سابقا، فكلماته دلت على معان فخمة ((ففيه نجد الشعوب ذائبة في أمميتها، لكي يتم الوصول إلى حقوق الأنسان. وفيه نجد النداءات التي على الشعوب أن تسمعها. وفيه نجد النضال الأخير))[٤٣] إن الحكم الجمالي الذي أصدره بريخت في هذه المقطوعة الشعرية كان قائما على نقطة مهمة هي مدى التزام الشاعر بالنداء والمطالبة بحقوق شعبه، فنظر إلى التزام الشاعر بالنداء بمطالب شعب هو ما أعطى هذه الأبيات الشعرية قيمتها الجمالية.

جـ : تيري إيغلتون: Terry Eagleton ١٩٤٣م.

إن النقد الجمالي الماركسي حسب رؤية إيغلتون يدعو الكتّاب إلى الالتزام بالقضايا التي تتعلق بالبروليتاريا بواسطة الفن، فالصورة الجمالية للنقد الجمالي الماركسي ارتبطت بالأحداث الأدبية الجمالية التي حدثت بالحقبة الستالينية، ففي هذه الحقبة الزمنية تأسست (جماعة الثقافة البروليتارية) في روسيا بعد الثورة، وكانت تحمل غاية جمالية هي خلق ثقافة أدبية للمجتمع البروليتاري، ومن الطبيعي أن كل جماعة تميزت بمجموعة من الشعراء الذين نادوا باسمها، وهذا ما وجدنا عليه الشاعر (مايا كوفسكي) فهو شاعر هذه الجماعة، الذي دعا إلى نبذ كل ما يتصل بفنون الماضي، ملخصا دعوته بشعار(أحرقوا رافييل)، فرؤيتهم عن الأدب الجميل هي أن الأدب الذي يعمل على خدمة المجتمع بواسطة تغيير القديم واستبداله بالجديد الذي يتماشى ومصالح الحزب، ويلتزم بالدفاع عنها هو الذي يستحق أن يكون أدبا جميلا، ولذلك قاموا بإرسال كتابهم، إلى المصانع، ومواقع تشييد البناء، ليكتبوا الروايات الأدبية، والمؤلفات التي تلتزم بوصف الواقع الذي تمر به طبقة العمال في هذه المناطق[٤٤]، ونتيجة لذلك ظهرت مجموعة من الروايات والكتب مثلت نتاجا أدبيا لجماعة الثقافة البروليتارية ((ففي ألمانيا كان ثمة فيلي بريديل(١٩٠١-١٩٦٤م) مؤلف كتاب (معمل آلات)(١٩٣٠م)، ومارشفيتز مع كتابه (معركة الفحم)(١٩٣١م)، وفي التشيك كانت هناك ماري ماييروفا مع مؤلفها (المرأة المغوية)(١٩٣٥م)، وماري يويمانوفا مع كتابها(الرجال عند مفترق الطرق)(١٩٣٧م)))[٤٥] وبذلك تكون قد أكدت هذه الرؤية

أن واجب الأديب أو الكاتب هو تقديم تصوير أدبي تاريخي أمين للواقع خلال مسيرة تطوره الثوري .

والملاحظ على تيري إيغلتون أنه يشير إلى نوع آخر من الالتزام إذ يقترب إلى الإلزام فيه في حديثه عن إنشاء الحزب الاشتراكي، إذ ((اتخذت اللجنة المركزية للحزب البلشيفي ١٩٢٨ قرارًا مؤداه أن الأدب لا بد أن يعمل، في خدمة مصالح الحزب ، وأرسل، الحزب الكتاب لزيارة مواقع التشييد والبناء ليكتبوا روايات تمجد إدارة الآلات))[٤٦]، وقد مثل هذا النوع من الالتزام تهديدًا حسب وصف إيغلتون للأدب والأدباء معًا، إذ يمثل أقسى اعتداء عرفه التاريخ الحديث على الفن والثقافة الفنية، وقد تم على مستوى النظرية والتطبيق تحت دعوى التحرر الاشتراكي[٤٧].

وهذا ما أكده بعض النقاد الفرنسيين عندما رفضوا انغماس الكاتب في كتابته بما يتعلق بالبهارج الأدبية السياسية ورأوا من الأجدر به أن يغوص في الحياة الاجتماعية نفسها، وأن يصور بوسائله الفنية ما يراه داخل المجتمع الذي يعيش فيه[٤٨]، وبناءً على ما سبق من مواقف النقاد الماركسيين ، يكون الفن أو الأدب ملتزمًا، شريطة أن يعرف مساره الحقيقي، وأن يكون له أثرًا بارزًا في المجتمع، ليمثل قوة ثورية تعمل على إعطائه الحافز الثوري، فأهمية الأثر الأدبي أو الفني ونبله متوقفة على مدى إسهامه وتأثيره بالحياة الطبيعية، والاجتماعية أيضًا[٤٩]. فالأدب الملتزم هو أدب مؤثر داخل المجتمع كونه ينبع من ذات المجتمع ويخرج من رحم الأحداث التي تصيبه، فيلتزم بمعالجتها والوقوف عليها من أجل تداركها بالمستقبل.

الخاتمة:

ختامًا لما سبق فقد خلص البحث إلى مجموعة من النتائج يمكن أن نجملها على النحو الآتي:

❖ تعد فكرة الالتزام من الافكار الأخلاقية التي يجب على الأديب أن يلتزم بها، فما الجدوى من أدب لا يعبر عن المجتمع الذي خرج منه، فالأدب خرج من المجتمع ليمثل المجتمع ، وهذا ما يكتب للأدب الخلود والبقاء في ذاكرة المجتمع.

❖ لقد كانت الرؤية الجمالية عند النقاد الغربيين في مفهوم الالتزام قائمة على المضمون نفسه الذي كان ينادي به النقاد الماركسيون، فالالتزام بالنداء من أجل المجتمع والوقوف معه هي من أبرز السمات التي دعا إليها النقاد والادباء الغربيون في ذلك الوقت وهذا ما وجدناه عند ماكس أدريث وجان بول سارتر، إذ كانت تفضيلاتهم الجمالية قائمة على مدى التزام الأديب بتصوير الأحداث التي يمر بها المجتمع والدعوة لإيجاد الحلول المناسبة لها.

❖ ، لقد قسم سارتر الفنون على قسمين هي: فنون ملتزمة، وأخرى غير ملتزمة وعدَّ الأدب ميدان الالتزام ومعياره، فالأدب الجميل عنده هو ما عبَّر فيه الأديب عن المواقف التي تسيء للمجتمع، وتفككه، لذلك دعا إلى التزام الأدباء بمعالجة الحالات السلبية التي تصيب المجتمع إذا ما أرادو لأدبهم أن يتحلى بصفة الجمال

❖ لقد انقسمت الرؤية النقدية للنقاد الماركسيين في مفهوم الالتزام على قسمين هما: الرؤية الاجتماعية، إذ كانوا يريدون من الأدب إن يكون ملتزما بالطالبع الاجتماعي، فالفن الجميل عندهم هو ما تميز بطابع اجتماعي إنساني رفيع، إذ لا يمكن أن تقتصر غاية الأدب على اللهو، والمتعة، بل يجب أن تكون له غاية اجتماعية، واخلاقية، عبر الوقوف على المظاهر المؤثرة في المجتمع، ومعالجتها، وهذا لا يتم من دون فكرة الالتزام بهذه المظاهر.

❖ إن فكرة الالتزام بوصفها أحد المبادئ الجمالية عند النقاد الماركسيين تمثل نقطة ارتكاز رئيسة تربط بين المجتمع، والأديب، وهذا ما أكده فلاديمير لينين ومن بعده جورج لوكاتش، عبر مجموعة من الأحكام التي صدرت عنهم بتفضيل أدباء على غيرهم بسبب التزامهم بالدعوة إلى المجتمع وعدم الانجرار وراء وصف الملذات الفانية فالرؤية الجمالية الماركسية تدرك ما للأدب من أهمية كبيرة خاصة في هيكلة المجتمعات وبنائها وتكوين العقول.

❖ لقد سعى النقاد الماركسيون إلى ربط أواصر المجتمع بالأدب، فطالبوا الأديب بأن يكون ملتزما بعكس مطالب الشعب عبر أعماله الأدبية، والدعوة إلى معالجة القضايا السلبية فيه، فالغاية من الأدب هي حث المجتمع لتغيير وتطوير نفسه،

فمعيار جمال الأدب من عدمه هو في مدى التزام الأديب بفكرة الدفاع والدعوة لتغيير الواقع الذي يعيشه الشعب، والذود عن الطبقة العاملة.

❖ إن الغاية من الأدب الملتزم عند أرنست فيشر تجلت لنا عبر رؤيتين تغييريتن الأولى هي الالتزام بالبحث عن فنون وآداب جيدية تضمن للأدب البقاء والتجدد، وهذا ما أيده فيه الكاتب الالماني توماس مان أما الرؤية الأخرى فتكمن بدعوة الأدباء بالتزامهم في الحث لتغيير واقع المجتمع وافشاء افكار المساوة والعدل ونبذ الطبقية المقيتة وهي نفسها التي دعت إليها الواقعية الاشتراكية.

❖ لقد ذهب جورج لوكاتش وأرنست فيشر في فكرة الالتزام بوصفه مبدأ من المبادئ الجمالية عندهم، إلى نوع الالتزام الأدبي الذي يدافع فيه الأديب عن مجتمعه، ويذود عنه لتكون الغاية من أدبه هي الكشف عن الواقع ومحاولة معالجته والدعوة للوقوف عليها، أما تيري أيغلتون فقد كانت أراؤه في الالتزام تقترب من مفهوم الالزام أكثر عنده فالأدب الجميل حسب رؤيته هو الأدب الذي يدافع عن مصالح الحزب وغاياته ومتى ما فرض على الأديب الدعوة لجهة معينة دون جهة أخرى تحول إلى الزام لا التزام، فالالتزام ينبع من ذات الأديب وأحساسه تجاه مجتمعه، أي أنه ذاتي بحت، على العكس من الإلزام.

❖ يرى الباحث أن النقاد الماركسيين قد وثقوا الصلة بين الأدب والمجتمع عبر فكرة الالتزام بوصفه فكرة جماليَّة لديهم، وعدوه وسيلة من وسائل التوجيه، ومنارًا ينير درب الشعوب، فالفكر الملتزم والأدب الملتزم لا يمكنهما أن ينفصلا عن علم الجمال الماركسي، ذلك لأن الفن الجميل هو الفن الهادف، وهذا ما سعى إليه النقاد الماركسيون بغية ترسيخة وتثبيت دعائمه، فيجب على الفنان حسب رؤيتهم إذا أراد لفنه اكتساب صفة الجمالية أن يلتزم بما يخدم فيه مجتمعه، بغية تحقيق التطور والدفاع عنه، وهو بذلك ينطلق من واقع تاريخي ليرسم مستقبلًا افضلا للمجتمع ولطبقة العمال.

الهوامش:

(١) الموسوعة الفلسفية، م.روزنتال وب. يويدين، تر: سمير كرم، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ص٤٨.

(٢) المعجم المفصل في الأدب، إعداد الدكتور محمد التنوجي، دار الكتاب العلمية ، بيروت– لبنان ، ج١، ط٢، ١٩٩٩م، ص١٢٣.

(٣) الأدب والالتزام من باسكال إلى سارتر، بونوا دوني، تر: محمد برادة، المشروع القومي للترجمة، ط١، ٢٠٠٥م، ص٣٥.

(٤) الأدب والالتزام من باسكال إلى سارتر، بونوا دوني، ص٣٥.

(٥) المعجم الأدبي، جبور عبد النور، دار العلم للملايين ، بيروت، ١٩٨٤م، ط٢، ٣١.

(٦) انظر: الأسس الجمالية في النقد العربي، عز الدين اسماعيل، دار الفكر العربي، القاهرة١٩٩٢م، ص٢٢٩.

(٧) انظر: الأدب والالتزام من باسكال إلى سارتر، بونوا دوني، ص٣٥.

(*) جان بول سارتر Jean Paul Sartre فيلسوف وأديب وناقد فرنسي صار أستاذ للفلسفة في الهافر، ارتحل في عام ١٩٣٣م إلى برلين وهناك درس هوسرل وهيدغر، وكتب مجموعة من المحاولات منها التخيل ومشروع نظرية في الانفعالات ومجموعة من الروايات في مقدمتها الغثيان، ومجموعة من المسرحيات منها الذباب، وبعد خلافه مع التيار الشيوعي، أصدر كتابه نقد العقل الجدلي/ وبقيت المحاور الأساسية في كتاباته تدور في الوجود والتاريخ والكتابة. العقل التأويلي الغربي مقاربات في أظمته المعرفية ومساراته، د. أحمد عويز، دار الكتاب الجديد، ٢٠١٨م،ص٤٣٧.

(٨) انظر: أدب الالتزام ، ماكس أديريث، تر: عبد الحميد ابراهيم شيحة ، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ، ١٩٨٩م، ص١١٧.

(*) من أبرز الشعراء والكتاب الفرنسيين، وعضو الحزب الشيوعي الفرنسي، أسس الجمعية الأدبية عام ١٩١٩، كان من مؤسسي المذهب السريالي مع أندريه بريتون وفيليب سوبولت عام ١٩٢٠م، اشتهر بدواوينه الشعرية وبالشعر الغنائي والتي كتب بعض منها حول زوجته السا تريوليهElsa Triolet .

(٩) انظر: أدب الالتزام ، ماكس أديريث، تر: عبد الحميد ابراهيم شيخة، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٨٩م، ص١٢٤.

(١٠) انظر: أدب الالتزام، ماكس أديريث، تر: عبد الحميد ابراهيم شيخة، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٨٩م، ص١٩٩.

(١١) أدب الالتزام ، ماكس أديريث،ص١٣٤.

(١٢) فلسفة الالتزام في النقد الادبي بين النظرية والتطبيق ، رجاء عيد ، د. ط ، منشأة المعارف ، الاسكندرية ، ١٩٨٨ ، ص ١٤١.

(١٣) انظر: فلسفة الالتزام في النقد الادبي بين النظرية والتطبيق، رجاء عيد، منشأة المعارف بالإسكندرية، ١٩٨٨م، ص١٤١.

(١٤) انظر: ما الأدب، جان بول سارتر، تر: محمد غنيمي هلال، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، ١٩٧١م ،ص٩٤.

(*) من أعظم روائي أسود في العالم. من رواياته (الصبي الأسود) و(صبي من البلد) أشتهر بروايات تتناول حياة الأميركيين السود خلال النصف الأول من القرن العشرين، يصورهم فيها كضحايا للفقر والسياسة سافر إلى باريس وهناك كتب الهايكو ودرس فنونها وبلغ ما كتبه من هذا النوع الشعري ٨١٠ هايكو نشرت تحت عنوان (الهايكو: العالم الآخر)

(١٥) مواقف الأدب الملتزم، جان بول سارتر،تر: جورج طرابيشي، منشورات دار الآداب- بيروت، ط١، ١٩٦٥م،،ص١١٤.

(١٦) انظر: انظر: أدب الالتزام ، ماكس أديريث، ص١٠-١١.

(١٧) انظر: أدب الالتزام من باسكال إلى سارتر، بونوا دوني، تر: محمد برادة ، المجلس الأعلى للثقافة ،٢٠٠٥م، ط١، القاهرة، ص٣٢٥.

(١٨) انظر: ما الأدب، جان بول سارتر، ص٣٧.

(١٩) انظر: مواقف الأدب الملتزم، جان بول سارتر، ص٩٧.

(٢٠) الماركسية والأدب، ريمند وليمز، تر: عهود بنت خميس المخيني، ص٢٠٥

(٢١) في علم الجمال، هنري لوفافير، ص١٠٤.

(٢٢) الواقعية الاشتراكية المنهج والاسلوب، ي. غروموف، تر: عدنان مدانات، دار ابن خلدون، بيروت لبنان، ط١، ١٩٧٥م، ص٢٧.

(٢٣) انظر: التحليل الاجتماعي للأدب، السيد ياسين، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، ١٩٧٠م، د.ط، ص٨٦.

(٢٤) الموسوعة الفلسفية، روزنتال ، يويدين ، ص٤٨.

([٢٥]) الماركسية والنقد الأدبي، تيري إيغلتون، ص٤٥.

([٢٦]) انظر: النظرية الأدبية المعاصرة، رامان سلدن، ص٥٢.

([٢٧]) في الأدب والفن ، لينين،ج١، ص٥٥.

([٢٨]) في الأدب والفن، لينين،ج١، ص٥٢-٥٣.

([٢٩]) الواقعية الاشتراكية في الأدب والفن، فلاديمير لينين وآخرون، تر: محمد مستجير، دار الطباعة الحديثة، القاهرة، ط١، ١٩٧٦م، ص٢٢.

([٣٠]) الواقعية الاشتراكية في الأدب والفن، فلاديمير لينين وآخرون، ص٢٦

([٣١]) انظر: أن الأدب كان مسؤولا، أندريه جدانوف،تر: رئيف خوري ،دار القارىء العربي، بيروت، ١٩٤٨م، ص٧١-٧٣.

([٣٢]) الماركسية والأدب، ريمند وليمز، ص٢٠٨، نقلا عن غايات الكتابة ١٩٦٠، سارتر ١٩٧٤م، ص١٣-١٤.

([٣٣]) أسس علم الجمال الماركسي اللينيني، مجموعة من الاساتذة السوفيت، ص١٣٥.

([٣٤]) انظر: كيف تعلمت الكتابة ،مكسيم غوركي، دار الحصاد للنشر والتوزيع، دمشق، د.ت، د.ط، ص٣٢.

(*) فيلسوف وناقد أدبي مجري، حاصل على شهادة الدكتوراه في الأدب، تابع دراسته في هايدلبورغ، فتعرف على عالم الاجتماع ماكس فيبر، ومن ثم انتمى إلى الحزب الشيوعي، ورسخ انتماءه الماركسي في كتابه التاريخ والوعي الطبقي، وله مجموعة من المقالات في النقد الايديولوجيا منها الأدب والفلسفة الماركسية وتحطيم العقل وخصوصية علم الجمال. انظر: العقل التأويلي، د. أحمد عويز حسين.

([٣٥]) انظر: دراسات في الواقعية الأوربية، جورج لوكاتش، تر: امير اسكندر، القاهرة ، الهيأة المصرية العامة للكتاب، ص٤١.

([٣٦]) الماركسية والنقد الأدبي، تيري إيغلتون، تر: جابر عصفور،ص٥٩.

([٣٧])نظرية الرواية وتطورها، جورج لوكاتش،تر:نزيه الشوفي، د.ت، د.ط ص٥٠

([٣٨]) انظر: جورج لوكاتش، دراسات في الواقعية، تر: نايف البلوز، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط٣، ١٩٨٥م،ص٢٣

([٣٩]) ضرورة الفن ، أرنست فيشر، تر: أسعد حليم، مكتبة الأسرة ، الهيأة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٨م، ص٢٧٧.

(٤٠) انظر: ضرورة الفن، ارسنت فيشر، ص١٦١.

(٤١) انظر: الواقعية النقدية في الأدب، س.بيتروف، تر: شوكت يوسف، دمشق، وزارة الثقافة، الهيأة العامة السورية للكتاب، ٢٠١٢، ص٢٨٥-٢٨٦.

(٤٢) انظر: الفنون والثورة، بريخت، تر: إبراهيم العريس، دار ابن خلدون، بيروت لبنان، ط١، ١٩٧٥م، ص٢٣.

(٤٣) الفنون والثورة، بريخت، ص٢٤.

(٤٤) انظر: الماركسية والنقد الأدبي، تيري إيغلتون، ص٤٢.

(٤٥) تاريخ الآداب الأوربية الواقعية-الحداثة- ما بعد الحداثة، تأليف مجموعة من المؤلفين، أشراف: أنيك بونوا- دوسيوسوا- غي فونين ، تر: موريس جلال، منشورات الهيأة العامة السورية ، دمشق، ٢٠١٣م ،ص٣١٤.

(٤٦) الماركسية والنقد الأدبي، تيري إيغلتون، تر: جابر عصفور، مجلة فصول، القاهرة، ع٣، المجلد ٥ ،ابريل- يونيو، ١٩٨٥م،ص٣٢.

(٤٧) انظر: الماركسية والنقد الأدبي، تيري إيغلتون، ٣٢.

(٤٨) انظر: الأدب والواقعية في الفن، جون فريفل، تر: محمد مفيد الشوباشي، دار الفكر العربي، القاهرة، د.ت، د.ط، ص١٤٦.

(٤٩) انظر: فلسفة الالتزام في النقد الادبي، رجاء عيد، ص١٣١.

قائمة المصادر والمراجع:

- أدب الالتزام، ماكس أديريت، تر: عبد الحميد ابراهيم شيخة، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٨٩م، ص١٩٩.
- الأدب والالتزام من باسكال إلى سارتر، بونوا دوني، تر: محمد برادة، المشروع القومي للترجمة، ط١، ٢٠٠٥م.
- الأدب والواقعية في الفن، جون فريفل، تر: محمد مفيد الشوباشي، دار الفكر العربي، القاهرة، د.ت، د.ط.
- الأسس الجمالية في النقد العربي، عزالدين اسماعيل، دار الفكر العربي، القاهرة١٩٩٢م.
- أسس علم الجمال الماركسي اللينيني، مجموعة من الاساتذة السوفييت،
- أن الأدب كان مسؤولا، أندريه جدانوف،تر: رئيف خوري ،دار القارئ العربي، بيروت، ١٩٤٨م.
- تاريخ الآداب الأوربية الواقعية–الحداثة– ما بعد الحداثة، تأليف مجموعة من المؤلفين، أشراف: أنيك بونوا– دوسيوسوا– غي فونين ، تر: موريس جلال، منشورات الهيأة العامة السورية ، دمشق، ٢٠١٣م.
- التحليل الاجتماعي للأدب، السيد ياسين، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، ١٩٧٠م، د.ط.
- دراسات في الواقعية الأوربية، جورج لوكاتش، تر: امير اسكندر، القاهرة ، الهيأة المصرية العامة للكتاب.
- ضرورة الفن، ارسنت فيشر، تر: أسعد حليم، الهيأة المصرية العامة للكتابة، مكتبة الأسرة، ١٩٩٨م د.ت، د.ط.
- فلسفة الالتزام في النقد الادبي بين النظرية والتطبيق، رجاء عيد، منشأة المعارف بالإسكندرية، ١٩٨٨م.
- الفنون والثورة، بريخت، تر: إبراهيم العريس، دار ابن خلدون، بيروت لبنان، ط١، ١٩٧٥م،
- في الأدب والفن، لينين، تر: يوسف حلاق، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، ج١، د.ط، ١٩٧٢م.

❖ ما الأدب، جان بول سارتر، تر: محمد غنيمي هلال، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، ١٩٧١م

❖ الماركسية والأدب في النقد الأدبي والنظرية الثقافية، ريمند وليمز، تر: عهود بنت خميس المخيني، ابن النديم للنشر والتوزيع، دار الروافد الثقافية، ط١، ٢٠٢٠م.

❖ الماركسية والنقد الأدبي، تيري أيغلتون، تر: جابر عصفور، مجلة فصول، القاهرة، ع٣، المجلد ٥ ،ابريل- يونيو، ١٩٨٥م،

❖ المعجم الأدبي، عبد النور جبور، دار العلم للملايين ، بيروت، ١٩٨٤م، ط٢،

❖ المعجم المفصل في الأدب، إعداد الدكتور محمد التنوجي، دار الكتاب العلمية ، بيروت- لبنان ، ج١، ط٢، ١٩٩٩م.

❖ مواقف الأدب الملتزم، جان بول سارتر، تر: جورج طرابيشي، منشورات دار الآداب- بيروت، ط١، ١٩٦٥م.

❖ الموسوعة الفلسفية، وضع لجنة من العلماء والأكاديميين السوفيتيين، بأشراف روزنتال و يويدين، تر: سمير كرم، ومراجعة د. صادق جلال العظم وجورج طرابيشي، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، د.ت، د.ط.

❖ النظرية الأدبية المعاصرة، رامان سلدن،تر: جابر عصفور، دار قباء للنشر والتوزيع، القاهرة، د.ط.، ١٩٩٨م.

❖ الواقعية الاشتراكية في الأدب والفن، فلاديمير لينين وآخرون، تر: محمد مستجير، دار الطباعة الحديثة، القاهرة، ط١، ١٩٧٦م

❖ الواقعية النقدية في الأدب، س.بيتروف، تر: شوكت يوسف، دمشق، وزارة الثقافة، الهيأة العامة السورية للكتاب، ٢٠١٢م.

❖ كيف تعلمت الكتابة، مكسيم غوركي، دار الحصاد للنشر والتوزيع، دمشق، د.ت، د.ط.

❖ جورج لوكاتش، دراسات في الواقعية، تر: نايف البلوز، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط٣، ١٩٨٥م.